مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

الرّحلات عبر البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي وتأسيس أولى المستوطنات في العصور القديمة

Journeys across the Mediterranean and the Atlantic and The founding of the first colonies in Antiquity

عولمي الربيع

OULMI Rabie

جامعة باتنة -1-الجزائر

مخبر الجزائر: دراسات في التاريخ والثقافة والمجتمع

rabieoulmi@gmail.com

الارسال: 22/02/26 القبول :22/03/22 النشر:20222/04/16 المرسل: عولمي الربيع

الملخص:

تتناول هذه الدراسة الرّحلات عبر البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي ودورها في مجال الملاحة البحرية وأهميتهما في العصور القديمة وما يتوفرا عليه من منافع وطرق مواصلات بحرية هامة بين مختلف الأمم منذ فجر التاريخ كالفينيقيون والمصريون والكريتيون الذين يعدون المكتشفون الحقيقيون لهما والأكثر استفادة من الإبحار فيهما مما ساعد الشعوب الملامسة لهما من ارتيادهما من خلال الرّحلات البحرية. وتبرز أهميتهما من كونهما همزة وصل وجسور تواصل بين مختلف الأمم والشعوب في العصور القديمة.

وقد سمحت هذه الرّحلات باكتشاف أقاليم جديدة تحولت فيما بعد إلى مستوطنات. كما أفادت الرّحالة في تدوين أنماط حياة المجتمعات ومنظومات النقل، بل التنظيم السياسي وأنماط التجارة أيضا، وحتى المعتقدات الدينية. لقد أسهمت روايات الرّحالة إسهاما قيّما في تسجيل تجاربهم كتابة. وأصبحت تلك الكتابات من المصادر التي تجعل البحث التاريخي ممتعا. تطرح هذه المقاربة تساؤلات عدّة منها: ما دور الرّحلات في اكتشاف الأقاليم الجديدة؟ وما مدى مساهمتها في التدوين التاريخي؟

الكلمات الدالة: الرّحلات، البحر المتوسط، المحيط الأطلنطي، العصور القديمة، المستوطنات.

Abstract

This study deals with the role of the Mediterranean Sea and the Atlantic Ocean, and their importance in maritime navigation during antiquity. Reveals the characteristics and advantages they had, their usefulness as means of transport, between various peoples from the dawn of history and which helped in the exploration of the peoples bordering the Mediterranean such as the Phoenicians, the Egyptians, and the Crests, these peoples who remain the real explorers in the ancient world.

These voyages allowed the discovery of new territories which were then transformed into colonies. Travelers also benefited from the codification of ways of life of societies and transportation systems, but also from political organization and patterns of commerce, and even religious beliefs. Travellers' accounts have made a valuable contribution to the written record of their experiences. These writings have become sources that make historical research interesting. This approach raises several questions, including: What is the role of travel in the discovery of new territories? What is the extent of their contribution to historical codification?

Keywords : travel, Mediterranean, Atlantic, antiquity, navigation.

مقدمة:

يصف كونراد (Conrad) البحر الأبيض المتوسط بأنه « مهد الملاحة البحرية»، و« فن الحروب البحرية »، ويعتبره برودال (Braudel) « أم البحار»، ويعرفه (M. Gras) بأنه « بحر مغلق يتوسط مركز العالم القديم»، ويطلق عليه الرومان اسم « بحرنا » (Mare Nostrum). بينما يعتبره غلوتز (G.Glotz) [1] « أجمل البحار وأكثرها منفعة وجاذبية. » من التعاريف السابقة نستنتج أن البحر الأبيض المتوسط له من المميزات ما يشجع على الملاحة فيه، كانعدام الحواجز وندرة التيارات البحرية القوية، مما يسمح بتقدم السفن التي تبحر قرب الساحل حتى وإن كانت الرياح لا تساعد على الملاحة، كما تكثر به ولا سيما بحوضه الشرقي الموانئ والجزر. فضلا عن ذلك فإنه بإمكان البحارة عبوره دون أن يضلوا الطريق، ودون الاستعانة بالبوصلة نظرا لكثرة نقاط الاستدلال المتعددة التي تظهر كل 50 ميلا.[2]

وبفضل هذه الخصائص فقد كان البحر الأبيض المتوسط أول مدرسة للملاحة البحرية في العصور القديمة. ورغم كثرة الرّحلات البحرية التي كان مسرحا لها إلا أنه لا يزال يجهل الكثير عنها، أما تلك التي وصلتنا أخبارها فهي لم تصلنا من خلال كتابات الرحالة الذين قاموا بها وإنما من خلال المقتطفات المبعثرة في صفحات المصادر الإغريقية والرومانية، مما جعل المعلومات التي وصلتنا غامضة وأحيانا غير موضوعية وقد نجد تبريرا لهذا الغموض في تصرفات الملاحين والتجار الفينيقيين والقرطاجيين، هؤلاء الذين لم يكشفوا عن الطرق البحرية التي اكتشفوها، بل وسهروا على أن تبقى علاقاتهم التجارية مع الشعوب المختلفة والمستوطنات التي أسسوها سرا أطول وقت ممكن زيادة على القصص الخيالية التي اخترعوها حول المخاطر التي واجهتهم في رحلاتهم البحرية. [(3)] تطرح هذه المقاربة تساؤلات عدّة منها: ما دور الرّحلات في اكتشاف الأقاليم الجديدة؟ وما مدى مساهمتها في التدوين التاريخي؟

إذا كان البحر الأبيض المتوسط أحيانا مجرد محطة عبور لبعض الرحالات والاستكشافات البحرية، فهو من جهة أخرى كان مسرحا رئيسيا للعديد من الرّحلات البحرية التي سنقتصر على ذكر أبرزها:

1. الرّحلات البحرية الإيجية:

يشير إيف جانفي (Y.Janvier) إلى أن الرحلة البحرية مصطلح اشتق من الكلمة الاغريقية (Périploos) والتي تعني الملاحة حول بحر أو حول أرض. [(4)] إلا أن هذا المصطلح يقصد به أساسا الملاحة الساحلية cabotage، ولا يعني الملاحة في أعالي البحار. ويمكن أن يتعلق الأمر بالمساحلة أي الملاحة الساحلية، أو دليل ملاحي أو تجاري متمرس كما هو الحال في رحلة البحر الإريتيري.Périple de la mer Erythrée

ويعالج هوميروس (Homérus) في كتاب الأوديسا " L'Odyssée" بعض الرّحلات القديمة منها الرّحلات البحرية الإيجية لما يحمله من أخبار حول هذه الأخيرة. صحيح أن هوميروس لم يجمع معلومات كافية حول طوبوغرافية البحر الأبيض المتوسط، وتبقى قبرص وفينيقيا ومصر وبلاد المشرق بالنسبة له مجرد أسماء، ورغم ذلك فإن بعض صفحات كتابه تتضمن معلومات حقيقية كذكره لنبات اللوتيس (lotus) الذي ينتجه ساحل مقاطعة طرابلس [5]، وإعصار مضيق مسينا الذي يجسد الأعاصير الناجمة عن الجاذبية المماسية للتيارات، ووصفه لرياح

وتيارات البحر الأبيض المتوسط. كل هذه الحقائق حول الحياة البحرية توحي أنه اعتمد على مصدر للملاحة البحرية، قد يكون حسب فيكتور بيرار (V.Bérard) كتابا للملاحة البحرية الفينيقية [6]. لكن هل من الضروري أن يكون المصدر فينيقيا؟ لا سيما وأنه لا يوجد ما يثبت أن الفينيقيين ألفوا دليلا رسميا للملاحة منذ عهد هوميروس؟ وحتى وإن وجد فلا يستبعد أن يكونوا قد أبقوه سرا. ألا يمكن أن تكون روايات البحارة الإيجيين مصدرا لهوميروس؟ لا سيما وأنه يعرف جيدا المنطقة المجاورة لمضيق مسينا حيث تردد الملاحون الكريتيون، مما يجعل الأوديسا دليلا على عدم اندثار التقاليد البحرية الكريتية التي كانت في انتظار الاغريق لإحيائها[7].

ويشير هوميروس في مقام آخر أن سيدا من كنوسوس (Knossos) بجزيرة كريت اسمه مينوس (Minos) كان يمارس سيادة مطلقة على البحار قبل حرب طروادة[8]، هذه القصة التي تحقق علماء الآثار من صحتها، بحيث كشفت الحفريات التي قام بها بعض الأثريين بالعديد من المواقع الأثرية الإيجية، وتلك التي قام بها أرثر إفانس (Arthur Evans) بكنوسوس عن حضارة كريتية تعود إلى ثلاثة آلاف سنة ق. م قامت أساس على المبادلات التجارية البحرية التي كانت معظمها إن لم تكن كلها بيد الملاحين الإيجيين. هذا وقد خلف الكريتيون بقايا مادية تدل على رحلاتهم البحرية بالمياه الأجنبية، وعلى العلاقات التي وجدت بين كريت ومصر. وفي هذا الصدد توحي الكمية الكبيرة من الفخار الكريتي التي وجدت بالمدافن المصرية للأسرتين الثانية عشر والسابعة عشر أن الكريتيين أصبحوا في حوالي سنة 2000 ق.م ممونا نشيطا في هذا المجال[9]. ويفترض أن السفن الكريتية أبحرت نحو مصر في الرّحلات البحرية الأولى من ميناء بالساحل الجنوبي يتصل بكنوسوس (Knossos) ثم إلى ساحل الشمال الإفريقي ومن ثم إلى دلتا النيل[10]. أما الطريق الثاني الذي يمر بين قبرص وفينيقيا لم يسلكه الكريتيون قبل سنة 2000 ق. م[11]. إذن يمكن أن ننسب للكريتيين أول رحلة استكشافية بحرية لبلاد المشرق قبل سنة 2000 ق.م. فهل كان لهم نشاط مماثل بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط؟

يمكننا الإجابة على هذا السؤال استنادا إلى المعطيات التي تفيدنا بها الأساطير الإغريقية المتضمنة لبعض الحقائق التاريخية ثبتت صحتها فهي تحتفظ بذكريات علاقات قديمة وجدت بين الإيجيين في فترة حرب طروادة وإيطاليا التي كانت تعيش آنذاك عصر البرونز، وتربط بين الملك مينوس وصقلية [12]، أكدها علماء الآثار بعد أن تم العثور على كميات كبيرة من الفخار الكريتي بجزيرة صقلية وجنوب إيطاليا تنسب للفترة الممتدة من سنة 1400-1200 ق. م. [13] ومجموعة كبيرة من القطع الزخرفية المكينية [14]. ولعل ما تجدر الإشارة إليه بخصوص هذه الرّحلات عدم حصر الإيجيين لنشاطهم البحري في بحر إيجة، بحيث وسعوه ليشمل كل البحر الأبيض المتوسط. فلقد أبحروا من خليج إلى خليج ومن جزيرة لأخرى، مما جعلهم أصحاب السيادة البحرية بلا منازع إلى غاية مطلع الألفية الأولى ق. م. ففي هذا التاريخ تتعطل الملاحة البحرية الإيجية بسبب الهجرات البشرية للآخيين (Achéens) والأيونيين (Ioniens) والدوريين (Doriens)، مما أتاح الفرصة للفينيقيين لمواصلة مهمة استكشاف البحر الأبيض المتوسط.

2. الرّحلات البحرية الفينيقية -القرطاجية:

كثيرة هي النصوص القديمة التي تنوه بالرّحلات الفينيقية، وتتمثل أقدم وثيقة نحتكم عليها حول هذا الموضوع في لوحة جدارية مصرية يعود تاريخها إلى حوالي سنة 1475 ق.م تظهر عليها سفينة يقودها بحارة ساميون، وورقة بردي لحوالي سنة 1200 ق. م مما جاء فيها أن الفينيقيين سيطروا آنذاك على النشاط التجاري بالشرق الأدنى القديم[15]. وكان هذا بعد الرّحلات البحرية المتكررة التي قاموا بها في اتجاه مصر عبر طريق بحري يمتد على طول الساحل الفينيقي إلى غاية دلتا النيل، وتأسيس محطة تجارية عرفت لدى المصريين القدامى بمعسكر الصوريين.[16]

لعل أهم رحلة بحرية فينيقية بالحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط في هذه المرحلة المبكرة، تلك التي قاموا بها في مطلع الألف الأولى ق. م على متن سفن الملك سليمان ملك العبرانيين وحيرام ملك صور من فينيقيا إلى أوفير (Ophir) مرورا بمصر. ففي هذا السياق يفيدنا الكتاب الأول للملوك[17] بمعلومات مفادها قيام الفينيقيين برحلة بحرية دامت ثلاث سنوات على متن سفن "تارشيش" (Tarshish) لجلب الذهب وخشب الصندل من أوفير، هذه الأخيرة التي ربما هي نفسها بلاد البونت الواقعة إما بالقرن الإفريقي برأس غاردافوي بالصومال أو بالساحل الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية أو قد يشمل إطارها الجغرافي كل من الصومال والساحل الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية [18]. ولو نتعمق في النص نجد أنه لا يمكننا موافقة الباحثين الذين يعتقدون أن تارشيش الواردة في التوراة يقصد تارتسوس (Tartessus) المنطقة الواقعة بوادي قاد الكفير بإسبانيا [19]، والذي يمر بقرطبة واشبيلية ليصل إلى المحيط الأطلسي، خاصة وأن النص يحدد بدقة اتجاه السفن ألا وهو بلاد أوفير، ومن جهة أخرى فإن "تارشيش" كلمة سامية معناها المعادن، وبالتالي يصبح مفهوم العبارة الواردة في النص السفن المخصصة لنقل المعادن، [20] ولا يقصد بها البلاد التي ستتجه إليها، كما أن "تارتسوس" (Tartessus) اشتهرت في القديم بمناجم الفضة والنحاس والقصدير وليس الذهب وخشب الصندل الذي جلبه الفينيقيون في هذه الرحلة.

يواصل الفينيقيون رحلاتهم البحرية بحثا عن المعادن والأسواق لتصريف البضائع المحملة على سفنهم وشراء سلع أخرى وإذا ما يرجع هوميروس ظهورهم بالموانئ الاغريقية إلى حوالي سنة 1190 ق. م مباشرة بعد حرب طروادة.[21] فإنه في الواقع ينسب أحداثا وقعت في عهده حوالي سنة 800 ق. م إلى فترة حرب طروادة، ونادرا ما يمكن تأكيد وجود محطات تجارية فينيقية بالحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط القرن الحادي عشر.[22] أما بخصوص الاتجاه الذي سلكوه فلقد اتجهوا في البداية نحو جزر وسواحل الحوض الشرقي، ووصلوا إلى كيليكيا وحدود الأناضول[23]، وقبرص حيث الثروات المعدنية والزراعية التي كانت وراء ظهور المحطات التجارية المكبرة بكل من كيتيون (Kition) وأماثونت (Amathonte) وربما تاماسوس (Tamassos) دون أن ننسى جزيرة رودس (Rhodes) حيث تواجد ملاحو صيدا منذ القرن العاشر ق. م كما يفترض وصولهم إلى سواحل لاكونيا بالبيلوبونيز وجزيرة كيتر (Cythére) بالبحر الإيجي [24]، ووصلوا إلى مالطا التي استعمروها حسب ديودور الصقلي[25] حين وسعوا نشاطهم التجاري نحو المغرب باعتبارها ملجأ جيدا وسط البحر تتوفر فيه موانئ جيدة.

وتعددت رحلاتهم بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، فقاموا ببعضها تحت إشراف السلطات الفينيقية وأخرى تحت إشراف السلطات المصرية، مما جعل هذه الأخيرة تنسبها لنفسها، ولعل هذا ما يشير إليه سترابون [26] حين يقول أن بعض الفراعنة أمثال تاهاركا (689-683 ق. م) وصلوا في توسعاتهم حتى أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق)، هذه التوسعات التي ما هي في الحقيقة سوى الرّحلات البحرية التي قام بها الفينيقيون تحت الراية المصرية. لكن هذه الأخيرة ليست هي الأولى التي قاموا بها بهذا الحوض، بل سبقتها رحلات بحرية أسسوا خلالها محطات تجارية بإسبانيا. ومن بين النصوص التي تسلط الضوء على هذا الموضوع نص نقله سترابون [27] عن بوسيدونيوس (Possidonius) يذكر فيه أن الإله أمر الصوريين بتأسيس محطة تجارية عند أعمدة هرقل، ولتحقيق ذلك خرجت حملة تبحث عن المكان، ولما وصلت إلى مضيق جبل طارق توقفت وأسس البحارة محطة تجارية بسكسي، ثم قدموا القرابين للإله وعادوا إلى صور، تلتها حملتين توجت الثالثة بتأسيس قادس (Gades).

يتضح مما تقدم أن الفينيقيين وصلوا إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط، ولا ريب أن ذلك حدث في وقت مبكر، بحيث يرجع الجغرافيون والكتاب الإغريق والرومان [28] رحلاتهم البحرية الأولى بهذا الحوض إلى مطلع القرن الثاني عشر حيث اكتشفوا خلالها أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق)، وأسسوا قادس بإسبانيا سنة 1110 ق. م وربما في نفس السنة أو قبلها بقليل ليكسوس (العرائش) بالمغرب الأقصى، وقبلها أوتيكا (Utica) بتونس سنة 1101 ق. م. كما أن هذه الرحلة حققت لهم ثروة طائلة بحيث كانوا يجمعون بقادس الفضة المستخرجة من تارتيسوس (Tartessus) بإسبانيا والقصدير الذي يجلبه البحارة التارتيسيون من جزر كاسيتيريد (Cassitérides) ببريطانيا[29] . ويخزنون بليكسوس ذهب السودان الذي تجلبه سفنهم من قرنة (Cerné) [30].

كما أسس الفينيقيون خلال هذه الرّحلات عددا من المحطات التجارية بإسبانيا نذكر منها مالاقا (Malaga) وأبديرا (Abdera) وباريا (Baria)، ووصلوا إلى سردينيا (Sardaigne) حيث أسسوا بجهتها الجنوبية محطات بكل من نورة (Nora) وكارياليس (Caralis) وسولكيس (Sulcis) وبيثيا (Bithia) [31] .وتجدر الإشارة أنه بخصوص تاريخ اكتشاف الفينيقيين لسردينيا فقد حدث حسب بعض المؤرخين [32] في حوالي نهاية الألف الثانية ق. م حين أرغم التجار الفينيقيون إثر ظهور زوبعة بحرية على النزول بالشواطئ الجنوبية الغربية للجزيرة، غير أن هذا الرأي لا يستند على دعائم متينة ولا يتفق مع الشواهد المادية، لا سيما النقيشة الفينيقية التي عثر عليها بنورة والتي ترجع ذلك إلى القرن التاسع ق. م [33] .

قد تكون صقلية آخر محطة حظيت باهتمام الفينيقيين بالبحر الأبيض المتوسط، هذا الاهتمام الذي تولد نتيجة سببين لا تقل أهمية أحدهما عن الثاني، ألا وهما موقعها الاستراتيجي وسط هذا البحر مما يسهل ربط حوضه الشرقي بالغربي حيث تنتشر المحطات التجارية والمستوطنات الفينيقية، وتوفر إمكانيات التعامل التجاري مع سكانها. فحسب تيوكيديدس [34] (Thucydides) وصل الفينيقيون إلى الجزيرة وأسسوا محطاتهم ببعض المواقع الساحلية قبل وصول الإغريق إليها. وهذا ما تؤكده التقنيات الأثرية التي كشفت عن بقايا فخارية فينيقية بمقابر موتية (Motya) تنسب للقرن الثامن ق. م[35] ، وهذا يعني من جهة أخرى أن ما يعرف بالمستوطنات الفينيقية التي وجدت بصقلية تنسب فعلا للفينيقيين الذين قدموا مباشرة من فينيقيا وليس

للقرطاجيين، ومما يلفت انتباه المهتم بهذا الموضوع ذلك التقسيم الذي خضعت له جزيرة صقلية فبواسطها وقسمها الشرقي تتمركز المستوطنات الإغريقية من بينها أغريغنتي (Agrigente) وسراقوسة (Syracuse) في حين تنتشر المحطات الفينيقية بالساحل الغربي بكل من موتية (Motya) وليليبايوم (Lilybaeum) واريكس (Eryx) وباليرم (Panormos) وسولوئيس (Soloeis).[36]

أما فيما يتعلق بالنشاط الفينيقي بسواحل بلاد المغرب القديم (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) المعروفة لدى الكتاب القدامى بليبيا، يذكر ديودور الصقيلي[37] أن الفينيقيين قاموا برحلات بحرية متكررة بهدف التجارة، وأسسوا مستوطنات عددا كبيرا منها على السواحل الليبية وأخرى بالجهات الغربية لأوروبا، وإذا كنا نتفق مع هذا الكتاب حول الرّحلات البحرية الفينيقية ونشاطهم التجاري، وحول المحطات التجارية التي أسسوها بالجهات الغربية لأوروبا والتي تحولت بمرور الزمن إلى مستوطنات، فإننا نفتقد المعطيات المادية التي ثبتت فعلا تأسيس الفينيقيين القادمين مباشرة من فينيقيا لمستوطنات بسواحل بلاد المغرب القديم باستثناء مستوطنات أوتيكا وليكسوس وقرطاجة، وكل ما يفترض أنهم أقاموا مرافئ صغيرة لكي ترسو بها سفنهم ويتسنى لهم المتاجرة مع السكان الأصليين، كانت بمثابة النواة الأولى لظهور المستوطنات القرطاجية، ومما يدعم هذه الفرضية انعدام البقايا الأثرية الفينيقية، إذ تنسب أقدم الآثار التي وجدت بهذه المستوطنات إلى القرن السادس ق. م حين أصبحت مستوطنة قرطاجة تتزعم السيادة البحرية والسياسية بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بعد انهيار مملكة صور الدولة الأم.

وفعلا ما أن برزت القوة العسكرية لقرطاجة وانتصرت على الفونسيين سكان إحدى المدن اليونانية بشواطئ آسيا الصغرى بمعركة ألاليا (Alalia) بكورسيكا سنة 535 ق. م [38] حتى حلت محل صور على رأس المستوطنات الفينيقية بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، واستؤنفت الرّحلات التي كان قد بدأها الصوريون منذ القرن الثاني عشر ق.م وراء مضيق جبل طارق لكن هذه المرة لصالحها الخاص كما أنها لم تكتف بالإرث الذي ورثته عن الصوريين، بل حرصت على توسيعه مثلما توحي إليه رحلتي هميلكون "Himilcon" وحنون"Hannon" بالمحيط الأطلنطي.

1.2 رحلة هميلكون "Himilcon":

قام القائد هميلكون بأول رحلة بحرية في حوالي 500 ق.م، مستهدفا استكشاف الساحل الأطلنطي وأروبا الغربية. حسب بلين القديم فإن حنون انطلق من قرطاجة في اتجاه قادس (Gadès) للالتفاف حول شواطئ إسبانيا مبحرا نحو الشمال باتجاه الجزر البريطانية [39]. وقد استغرقت الرحلة أربعة أشهر قضاها على طول الطريق التجاري البحري القديم. وتمكن من الوصول إلى مشارف رأس الأوستريمنيد (Oestrymnides) الذي يحتوي على مجموعة من الجزر الغنية بالقصدير والرصاص[40]. ثم أبحر لمدة يومين ليصل إلى الجزيرة المقدسة (ile sacrée) التي يسكنها شعب "الهيرني" (Hierni)، أي أنه وصل إلى إيرلندا [41]. ويبدو من خلال المصادر التي ذكرت الرحلة أنها أقصى نقطة بلغها هميلكون. وقد صادف خلالها أرصفة من الطحالب والرمال والضباب الكثيف الذي كان يغطي السماء والأرض، وحيوانات متوحشة هائمة هنا وهناك. ووصل بعد صعوبات جمة

واجهها إلى الجزر البريطانية [42]. يبدو أن رحلة هميلكون سمحت للقرطاجيين بمراقبة طرق تجارة القصدير والفضة وهذا إلى غاية الأرخبيل البريطاني [43].

ونجهل ما إذا كان هميلكون قد كلف –مثل حنون-بتأسيس مستوطنات قرطاجية فيما وراء أعمدة هرقل. ويبدو أن مهمته تتمثل في أن يضمن للقرطاجيين والقادسيين حلفاء، وأن يحتكروا سوق المعادن في المنطقة الشمالية الغربية من أوربا، وتسهيل نشاطاتهم بإقامة محطات تجارية وأساكل (escales)، وذلك بربط علاقات مع أهالي السواحل الإسبانية والغالية (الفرنسية). ونجهل ما إذا تحققت هذه الأهداف أم لا؟

2.2 رحلة حنون"Hannon":

بلغتنا أخبار هذه الرحلة عن طريق تقرير كتبه "حنون" وترجم إلى اللغة الإغريقية. ونستنتج من عنوان التقرير "تقرير عن رحلة حنون ملك القرطاجيين إلى أجزاء من ليبيا فيما وراء أعمدة هرقل والذي يقدمه لمعبد الإلهة كرونوس" أنه كان عبارة عن نقيشة وضعها حنون بنفسه في معبد الإلهة كرونوس (Cronos) بقرطاجة. [44] قرر القرطاجيون وجوب إبحار الملك "حنون" إلى ما وراء أعمدة هرقل وتأسيس مستوطنات ليبو-فينيقية. وقد أبحر ومعه خمسة وستون (65) سفينة؟ لكل منها 50 من المجاديف، وثلاثون ألف (30.000) شخص من الرجال والنساء والمؤن ومعدات أخرى. [45]

يبدو أن القرطاجيين كلفوا حنون بتأسيس مستوطنات في إفريقيا فيما وراء أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق). ولنا أن نتساءل في هذا الصدد: ما هي أسباب هذا القرار؟ هل يتعلق الأمر بتخلص قرطاجة من الفاض السكاني؟ أو التخلص من العناصر المتمردة؟ أم الأمر يتعلق بتعويض أو تنشيط المحطات التجارية الفينيقية القديمة على طول الساحل المغربي التي تدهورت وتراجع دورها أو تلك التي دمرت؟

انطلق حنون من قادس (Gadès) بعد أن أكمل تحضيراته حسب ما ذكره بلين [46]، وكان قد قدم من قرطاجة. [47] بعد عبور مضيق جبل طارق والإبحار لمدة يومين أسسنا أول مدينة " تيمياتريوم" (Thymiatérion) بجوار السهل الكبير، ثم اتجهنا نحو الغرب ووصلنا إلى رأس سولوئيس (Soloeis)

وهو رأس ليبي مغطى بالأشجار. وبعد أن أقمنا معبدا للإله "بوسيدون" (Poséidon) إله البحار هناك، أبحرنا باتجاه الشرق لمدة نصف يوم ووصلنا إلى مستنقع غير بعيد عن البحر مغطى بأعشاب كثيفة، وكانت الفيلة وحيوانات أخرى تمر قربه. تجاوزنا المستنقع، وأبحرنا لمدة يوم بعد أن أسسنا عدة مستوطنات وهي: "موركاريان" (Mur Carien) و "غوتا" (Gytté) و "أكرا" (Acra) و "مليطة" (Mellita) و "أرامبيس" (Arambys) [48].

ومن هنا أبحرنا إلى "ليكسوس" (Lixos) وهو نهر كبير ينبع من ليبيا، وعلى ضفافه يرعى أهل ليكسوس مواشيهم. ومكثنا بعض الوقت مع السكان الذين صرنا أصدقاء لهم. وفيما وراءهم الأثيوبيون وهم بدائيون يسكنون بلدا مليء بالحيوانات المتوحشة تخترقه جبال يقال أن نهر ليكسوس ينبع منها. وحول هذه الجبال يسكن "التروغلوديت" (Troglodytes) وهم قوم ذوو طبيعة خاصة يعتقد أهل ليكسوس أنهم أسرع من الخيل.

بعد ذلك أبحرنا باتجاه الجنوب وبمحاذاة الصحراء لمدة يومين، ثم باتجاه الشرق لمدة يوم واحد وهناك وجدنا في خليج جزيرة صغيرة يبلغ محيطها خمسة ستاد stades (ما يقارب الكيلومتر المربع) وأطلقنا عليها اسم "قرنة" (Cerné) وتركنا مستوطنين هناك.

ومن هناك مررنا بنهر كبير هو نهر "كريتيس" (Chrétès) ووصلنا إلى بحيرة تحوي ثلاث جزر أكبر من "قرنه". ثم أبحرنا لمدة يوم واحد ووصلنا إلى رأس بحيرة تشرف على جبال مرتفعة يسكنها أناس متوحشون يرتدون جلود الحيوانات، وقد منعونا من الإنزال بقذف الحجارة علينا. ثم توغلنا في نهر آخر أكبر عمقا واتساعا مليء بالتماسيح وأفراس النهر، وبعد ذلك عدنا إلى " قرنه". ثم أبحرنا مرة أخرى باتجاه الجنوب لمدة 12 يوما وبمحاذاة الساحل الذي يسكنه الأثيوبيون الذين يفرون منا كلما اقتربنا منهم، وهم يتكلمون لغة لا يفهمها حتى أهل ليكسوس. وفي اليوم الثاني عشر ألقينا المرسى قرب جبال ذات أشجار عطرة، ومنها إلى خليج واسع (يبدو أنه خليج غامبيا)، ومنه شاهدنا ليلا نيرنا تتصاعد من كل جانب في فترات متقطعة.

وبعد أن تزودنا بالماء واصلنا السير بمحاذاة الساحل لمدة خمسة أيام حتى بلغنا خليج قال عنه التراجمة أنه يسمى القرن الغربي (corne de l'occident). وعند نزولنا بإحدى جزره نهارا لم نشاهد سوى غابة، لكن ليلا كنا نسمع أصوات المزامير والطبول، فاستولى علينا الخوف ونصحنا التراجمة بمغادرة الجزيرة. أبحرنا بسرعة والخوف يتملكنا وبعد أربعة أيام من الملاحة شاهدنا ليلا الأرض مشتعلة، وفي وسط المنطقة كان هناك لهيب يبدو أنه يلامس النجوم. لكن أثناء النهار تبين لدينا أنه جبل شديد الارتفاع يسمى مركبة الآلهة (char des dieux). ثم أبحرنا لمدة ثلاثة أيام ووصلنا إلى خليج يسمى القرن الجنوبي (corne du sud). ثم توغلنا في جزيرة شبيهة بالأولى بها بحيرة، وكانت مليئة بالمتوحشين وغالبيتهم نساء يكسو أجسامهن الشعر، أطلق عليهن التراجمة اسم "الغوريلات". [49] وقد حاولنا الإمساك بالذكور لكنهم كانوا يتسلقون المنحدرات ويقذفوننا بالحجارة. ومع ذلك تمكنا من أسر ثلاث إناث وقتلناهن وسلخناهن وأحضرنا جلوهن ثم قفلنا عائدين إلى قرطاجة نظرا لنص المؤن. [50]

ورغم النجاح الذي حققته رحلة حنون، إلا أنها لم تحقق طموحات القرطاجيين، بدليل أنهم قاموا بعد ذلك برحلات أخرى مكنتهم من اكتشاف طريق مباشرة تؤدي إلى مناجم القصدير انطلاقا من كورونة (Corogne) في اتجاه الشمال إنما نحو جزر كاسيتيريد [(51)] (Cassitérides) التي يعتقد أنها جزر سيلي (Seilly) أو ربما نحو أراضي كورنواي [52] (Cornouailles). هذا وقد أسندت إلى حنون مهمة تأسيس مستوطنات قرطاجية فيما وراء أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق)، قبل سنة 480 ق.م على السواحل الغربية لإفريقيا. ويبدو أن حنون وصل الى خليج غينيا بقصد الوصول الى بركان الكاميرون (pic du Cameroun) [53]. مما أدى إلى ظهور تجارة الذهب التي مارسها القرطاجيون [54]حتى سقوط الدولة القرطاجية سنة 146 ق.م.

يبدو أن المهمة التي كلف بها حنون جد هامة، ذلك أنه من الصعب القبول بفكرة أن الذين صاحبوه في هذه الرحلة يقدر عددهم بـ 30.000 شخص، وكيف نصدق أن هذا العدد كان على متن خمسة وستون (65) سفينة؟ إذن من المحتمل أنه رقم مبالغ فيه! وإذا علمنا أن حنون قد أسس سبع مستوطنات بالمنطقة الواقعة

خلف أعمدة هرقل، فإذا فرضنا أن كل مستوطنة تسع لـ 4300 شخص، فيبدو أنه رقم كبير بالنسبة لمستوطنة في تلك الفترة [55].

هذا وتحولت المرافئ التجارية الفينيقية الممتدة من خليج السيرت إلى مضيق جبل طارق إلى مستوطنات قرطاجية، وأصبحت قرطاجة تراقب مضيق جبل طارق وكل المستوطنات المنتشرة على السواحل الجنوبية الشرقية لإسبانيا، وسردينيا والساحل الغربي لصقيلة، وجزر البليار حيث أسسوا مستوطنة إبيسا (Ebusus) حوالي سنة 654-653 ق.م. كما فرضت تواجدها بكورسيكا بعد الهزيمة التي ألحقتها بالفوسيين خلال المعركة البحرية [56] التي دارت بينهما سنة 535 ق.م. غير أنها تحقق نجاحا كبيرا بإيطاليا، ولم تتردد على سواحلها إلا في القرن الخامس ق.م نظرا لخضوعها لمراقبة الأتروسك الذين ربما لم يسمحوا حتى للإغريق بالتوغل خلف نابولي [57].

3. الرّحلات البحرية الإغريقية:

مما حمل الإغريق على خوض غمار الرّحلات البحرية الظروف الاقتصادية الصعبة التي دفعتهم إلى الخروج في رحلة بحرية أولى في حوالي سنة 800 ق.م بحثا عن الأسواق والطرق التجارية وسعيا وراء تأسيس مستوطنات تدر عليهم أرباحا طائلة. والملاحظ أن تلك الرّحلات الاستكشافية الاغريقية الأولى كانت عبارة عن مبادرات فردية قام بها التجار والصيادين والقراصنة، إما بالاعتماد على القصص التي تروي أخبار الرّحلات الكريتية، أو بعد اكتشافهم لإحدى الطرق البحرية الفينيقية، أو بعد أن دفعتهم الرياح أو التيارات البحرية نحو أراضي غنية بالثروات الزراعية أو المعدنية.

وصل الإغريق في رحلاتهم البحرية الأولى إلى إيطاليا حيث أسّس الشلسيديون سكان شلسيدس إحدى الجزر الإغريقية أقدم المستوطنات بكل من جزيرة إيشيا (Pithecusa) عند مدخل خليج نابولي وكومس (Cumae) بكامبانيا [58]، هذه الأخيرة التي يعود تأسيسها حسب القطع الفخارية التي وجدت بها إلى حوالي سنة 800 ق. م. [59] كما وصلوا إلى جزيرة الألب وتوسكانا (Etruria) حيث مناجم النحاس والقصدير ومراكز إنتاج البرونز، وأسسوا بعد سنة 740 ق. م مستوطنة رخيون (Rhegion) [60] ، هذا زيادة على تلك التي أسسوها بإيطاليا الجنوبية كمستوطنة سيباريس (Sybaris) وكالابر (Crotona) وتارنت (Tarente) ولوكريس (Locres) [61] ودون الابتعاد عن إيطاليا يكتشف الشلسيديون جهودهم ويصلون إلى صقلية حيث يؤسسون مجموعة من المستوطنات بكل من مسينا (Zancle) بعد سنة 740 ق. م وناكسوس (Naxos) حوالي سنة 757 ق. م وليونتينوه (Leontinoi) وكاتان (Catane) سنة 728 ق. م وميغارة (Megara) حوالي سنة 750 ق. م كما يؤسس الدوريون مستوطنة سراقوسة سنة 733 ق.م وجيلا سنة 686 ق.م وأغريغانتي (Agrigente) سنة 580 ق.م. مما مكنهم من مراقبة النشاط التجاري الذي يتم بمضيق صقلية وإخضاع معظم الواردات الإغريقية لمؤسساتهم الجمركية [62]

اكتشف الفينيقيون كما ذكرنا آنفا مضيق جبل طارق في القرن الثاني عشر ق. م، وغم ذلك لم يصله الإغريق إلا في حوالي سنة 630 ق. م ونحتكم في هذا الصدد الى نص لهيرودوت [63] يتجلى من خلاله أن تاجرا من

جزيرة ساموس اسمه كوليوس (Coléus) اكتشفه صدفة حين كان يريد الإبحار من بلاتيا (Platéa) نحو مصر، وعوضا أن يصل إلى هدفه دفعته الرياح الشرقية غربا فاجتاز مضيق طارق وحط بتارتيسوس (Tartessus)، ثم عاد إلى ساموس محملا بالفضة التي جمعها من تارتيسوس (Tartessus). وكان من الطبيعي أن تلفت الثروة التي جلبها معه انتباه المغامرين، وتدفعهم إلى الخروج بحثا عن المناطق التي تزخر بمثل هذه المعادن، ومن ثم توالت الرّحلات البحرية الاغريقية نحو إسبانيا، والفضل الكبير في هذا يعود إلى مدينة فوسي (Phocée) إحدى المدن اليونانية على شواطئ آسيا الصغرى التي نظمت حملات جماعية وضعت خلالها تحت تصرف البحارة سفن حربية عوض السفن التجارية، مما سمح للبحارة الفوسيين بإيجاد طريق تجاري بحري يمتد إما من صقلية أو من الخليج الصغير بنابولي عبر جزر الباليار مباشرة نحو إيفاش (Ifach) بالساحل الجنوبي الشرقي لإسبانيا، ووصلوا إلى مناكي (Maenaké) شرق مستوطنة مالقا، وهي أبعد مستوطنة فوسية بإسبانيا [64].

شرع الفوسيون بعد تعرفهم على الطريق المؤدي إلى تارتيسوس في استكشاف خليج الأسد إما إبحارا بالسواحل الإيطالية أو مرورا بسردينيا وكورسيكا، وأسسوا مستوطنة مارسيليا (Massalia) حوالي سنة 600 ق. م [(65)] هذا التاريخ الذي تدعمه التنقيبات الأثرية، إذ تدلنا على انفتاح السوق المارسيلسي في مطلع القرن السادس ق. م ولا سيما ابتداء من سنة 580 ق. م أمام الخزف الأيوني. [(66)] لكن يفترض أن الإغريق الروديسيين سبقوا الفوسيين إلى إسبانيا وغاليا، وأسسوا مستوطنات روزاس (Rosas) بكاتالونيا، وربما أيضا أقدي (Agathé) وروادانوزيا (Rhodanousia) على ضفاف نهر الرون. [(67)] أما فيما يتعلق بنشاطهم بالضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، فلقد أبحرت السفن الإغريقية من البيلوبونيز في اتجاه الشمال الإفريقي، ووصلوا إلى بومبا حيث أسسوا مستوطنة ساعدتهم على المتاجرة مع قبيلة الأسبيت (Asbytes)، ولما سمح لهم السكان الأصليون بالنزول بالقارة فضلوا الاستقرار بالهضبة المجاورة للساحل وأسسوا مستوطنة قرينة (Cyrène) حوالي سنة 631 ق.م. [68]

4. الرّحلات المصرية والفارسية:

تحتفظ المصادر بأخبار رحلات بحرية أخرى قام بها المصريون والفرس عرفها البحر الأبيض المتوسط في الفترة القديمة، لكنه هذه المرة لم يكن مسرحا رئيسيا لها بل كان مجرد محطة عبور، اخترنا منها ثلاث رحلات سنحاول الإشارة إليها باختصار طالما أن كل الذي يربطها بموضوعنا هو مرورها بالبحر المتوسط والمحيط الأطلنطي.

1.4 رحلة الفرعون نيخاو: (Néchao II)

في عهد الفرعون نيخاو (Néchao II) (609-594 ق.م.) وبأمر منه قام بحارة فينيقيون في حوالي سنة 600 ق.م. برحلة بحرية حول القارة الإفريقية، ويبدو أنهم أنجزوا هذه المهمة [(69)]. تعد هذه الرحلة الأولى من نوعها لأنها انطلقت من الشرق إلى الغرب، وكانت قد استغرقت ثلاث سنوات توقفوا خلالها البحارة أكثر من مرة لزرع وجني المحاصيل المتنوعة لسد حاجاتهم، فقد انطلقوا من البحر الأحمر، وأبحروا بمياه المحيط الهندي بمحاذاة

سواحل إفريقيا الشرقية، ثم بمياه المحيط الأطلسي بمحاذاة سواحل إفريقيا الغربية، وبعدها دخلوا البحر المتوسط عبر مضيق جبل طارق ليواصلوا الإبحار حتى وصلوا مصر.[70]

وقد أبدى بعض المؤرخين [71] شكوكا حول هذه الرحلة، لكن مع ذلك ما يهمنا هو أن البحارة الفينيقيون مروا بالبحر المتوسط بعد أن قاموا بدورة كاملة حول قارة إفريقيا. ونكتفي بالقول أن التجربة التي قام بها الباحث أندري جيل أرتانيان "André Gil-Artagnan " تشجع على تقبل فكرة إنجازها. فلقد حاول الباحث تتبع خطوات البحارة الفينيقيين استنادا إلى المعلومات الواردة في كتاب هيرودوت، وقام برحلة بحرية حول القارة الإفريقية [(72)] دامت ثلاث سنوات على متن سفينة بناها وفق نموذج سفينة مصرية منحوتة بالمعبد الجنائزي للملكة حاتشبسوت (Hatchepsout) (1504-1484 ق.م.) من الأسرة 18 تعود إلى حوالي 1500 ق. م.

وكانت هذه الملكة قد أرسلت حملة بحرية إلى بلاد البونت (Pount)، تتكون من خمس سفن وبعض الجنود، وقد نحتت هذه الرحلة على جدران المعبد الجنائزي بدير البحري (Deir el-Bahari) بنقش بارز (relief) اكتشف فيما بعد من طرف الباحثة ماريت (Mariette). ونظرا لعدم عثور أندري جيل أرتانيان على نموذج خليج عدن في اتجاه رأس غاردافوي (Gardafui) بالقرن الإفريقي [(73)]، اتجه نحو مومباسا وبعدها إلى رأس الرجاء الصالح، وأبحر بعد ذلك بمحاذاة السواحل الصحراوية إلى دكار ثم نواديبو وبعدها إلى أغادير، ثم اجتاز مضيق جبل طارق ودخل البحر المتوسط ليتجه صوب مصر.

2.4 رحلة ساتاسبيس "Sataspès"

تلقى الرحّالة الفارسي ساتاسبيس أحد أفراد العائلة الملكية الفارسية أمرا من الملك أكسركس (Xerxès) في حوالي 470 ق.م. حسب نص ينسب إلى هيرودوت، للقيام برحلة بحرية حول إفريقيا انطلاقا من أعمدة هرقل والعودة من الخليج العربي، عقابا له على ما اقترفه من جرم في حق العائلة الملكية وهو اغتصاب ابنة زوبير (zopyre)، ونزولا عند طلب والدته وهي أخت داريوس، اتجه إلى مصر لينطلق في رحلته البحرية حول ليبيا القارة. لكنه لم يكمل الرحلة ورجع إلى بلاده، فكان إبحاره واجتيازه أعمدة هرقل ورأس سولوئيس (Cap Soloeis) أي رأس سبارتل (Cap spartel) ثم اتجه جنوبا حتى بلغ رأس كانتان (Cap Cantin)، ثم مواصلة طريقه حتى وصل بعد بضعة أشهر من الإبحار إلى ساحل به جبال مرتفعة [(74)]، وحسب وصف ساتاسبيس فيحتمل أن تكون جبال كوناكري وسيراليون [75].

3.4 رحلة أودوكسوس « Eudoxus»

قام أودوكسوس بموجب اتفاق عقده مع العائلة الملكية بمصر برحلتين إلى الهند كانت الأولى في عهد الملك بطليموس السابع (146-117 ق. م) والثانية في عهد أرملة هذا الأخير الملكة كيلوبترة والملك بطليموس الثاني، لكن في كل مرة كان الملك يجرده من الثروة التي يجلبها معه، مما دفعه إلى القيام برحلة ثالثة إلى الهند، لكن هذه المرة ليس عبر البحر الأحمر وإنما بالإبحار حول قارة إفريقيا مرورا بالبحر المتوسط حتى لا يعلم ملوك مصر بذلك. فلقد أبحر من موطنه مدينة سيزيك (Cyzique)، وتوقف ببوتيولي (Dicaerchia) بإيطاليا ومارسيليا (Massalia) وبالعديد من الموانئ الإسبانية إلى أن وصل إلى قادس (Gadès) ليبحر بعد ذلك في اتجاه الجنوب، والظاهر أن أقصى منطقة وصلها هي جنوب المغرب حيث مملكة بوخوس (Bacchus). وحسب تقرير أودوكسوس فقد أورد سترابون أن الأثيوبيون كانوا مجاورين لمملكة بوغود (Bogud) [76]. وهناك تخلى عن فكرة مواصلة الرحلة، وحاول الرجوع إلى بلاده، لكن دون جدوى حيث لقي حتفه مع كل أتباعه[77].

5.خاتمة:

يتضح مما سبق أن هذه الرّحلات البحرية التي شهدها البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي في العصور القديمة حققت مجموعة من النتائج، إن على الصعيد المادي أو العملي نوجزها فيما يأتي:

- ساهم البحارة الفينيقيين من خلال رحلاتهم في نشر الأبجدية الفينيقية في الأوساط الإغريقية في القرن التاسع ق. م، ومن ثم طوّرها الإغريق، فأضافوا إشارات لحروف العلّة وضاعفوا الحرف بدل التشديد، وحرّفوا الإشارات حتى توافق الأسماء الإغريقية، وأسقطوا أصواتا لا وجود لها في اللّغة اليونانية، وأوجدوا إشارات لأصوات غير موجودة في اللّغات السامية، مما جعل الكتابة الإغريقية أسهل رسما وقراءة، وهذا ما ساعد على انتشارها وبالتالي انتشار الثقافة اليونانية مثلما انتشرت بعد ذلك الثقافة الرومانية إلى درجة أن البحر المتوسط قسم إلى حوضين ثقافيين، الحوض الشرقي تطغى عليه الثقافة الهيللّينية، والحوض الغربي الذي عمته الثقافة اللاّتينية حتى وإن لم يكن لروما دور مباشر في اكتشاف البحر المتوسط، طالما أن كل ما قامت به هو الاستفادة من النتائج التي حققتها الرّحلات البحرية الإيجية والفينيقية- القرطاجية والإغريقية.

-ساعدت هذه الرّحلات على إضافة معلومات جغرافية جديدة حول المناطق التي اكتشفت، كما سمحت بوضع دليل بحري يتضمن وصفا شاملا لسواحل البحر الأبيض المتوسط وموانئه والمسافات الفاصلة بينها، والمخاطر التي يواجهها البحارة كالتيارات والرياح البحرية، اعتمد عليها الجغرافيون القدامى فيما عرف بالمصادر الأدبية التي وصلنا بعضها.

-اكتشاف الطرق التجارية البحرية، أهمها طريق شرقي يربط فينيقيا (الساحل السوري- الفلسطيني) بقبرص عبر موانئ بيبلوس وإمينا وتل سوكاس ورأس الباسيت، ثم الإبحار حول جزيرة قبرص للوصول إلى موانئ أماثونت وكوريون وبافوس، وطريق غربي يبدأ من مصر في اتجاه سواحل الشمال الإغريقي يؤدي من جهة إلى صقلية الغربية ومن جهة أخرى إلى ليكسوس بالمغرب الأقصى وقادس بإسبانيا [78] زيادة على ذلك هناك طريق ينقل عبره قمح مصر إلى روما، يبدأ من الإسكندرية إما مرورا بسواحل الشمال الإفريقي أو عبر جنوب كريت، وطريق شمال

البحر الإيجي عبر السواحل الإغريقية إما ميناء كانخرياي (Kenchreai) بشرق كورنثة للوصول إلى خليج كورنثة أو عبر ميناء لوخايون (Lechaion)، والطريق الذي يربط سوريا بإيطاليا عبر كريت [79].

- تزايد طموحات روما وقرطاجة التجارية مما أدى إلى ظهور الصراعات والتنافس الاقتصادي بينهما كأكبر قوتين في الحوض المتوسطي، ما دفع قرطاجة إلى السعي وراء تأمين احتكارها للتجارة البحرية بالبحر المتوسط ولتحقيق ذلك ارتبطت مع روما بأربع معاهدات أبرمت في الفترة الممتدة منذ نهاية القرن السادس وحتى أواخر القرن الثالث ق.م في سنوات 508 ق.م و348 ق.م و306 ق.م و279 ق.م، حرم بموجبها الرومان وحلفائهم من الإبحار وراء رأس سيدي علي المكي شمال غرب قرطاجة، كما حرم على تجار أية سفينة رومانية تجرّها العاصفة إلى المياه القرطاجية ممارسة عملية البيع والشراء وإجبارها على مغادرة المياه في غضون خمسة أيام، وزيادة على منع الرومان من ممارسة النشاط التجاري وتأسيس المستوطنات بسردينيا وشمال إفريقيا.[80]

-تمكنت قرطاجة من السيطرة على أهم الطرق البحرية الرابطة بين الحوضين الشرقي والغربي للبحر المتوسط، وكانت تمنع السفن الأجنبية من الإبحار في المناطق التي تنتشر فيها مستوطناتها لا سيما بالشمال الإفريقي وسردينيا، وفي هذا السياق يذكر سترابون [81] أن القرطاجيين كانوا يغرقون أية سفينة يصادفونها مبحرة بمناطق نفوذهم، أو متجهة نحو جزيرة سردينيا أو نحو أعمدة هرقل.

-طرأت تغيرات جذرية على الأهداف التي حددت لهذه الرّحلات، فقد كان الهدف الرئيسي منها هو البحث عن المناطق الغنية بالموارد المعدنية والزراعية وعن الأسواق التجارية، وهذا ما يفسر ظهور المحطات التجارية. لكن سرعان ما تولدت الرغبة في الاستيطان بهذه المحطات التجارية وبالأماكن القريبة من مناجم الفضة والنحاس وبالأراضي الزراعية. وهذا ما دفع العناصر الفينيقية واليونانية إلى الهجرة من موطنها الأصلي تحت ضغط الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة إلى هذه المحطات والاستقرار للعيش فيها، وبالتالي تحول هذه المحطات إلى مستوطنات بقيت طيلة فترة طويلة مرتبطة بالدولة الأم دون أن تفقد استقلالها الذاتي. وحاول اليونانيون والفينيقيون المحافظة على التوازن الذي أوجده التقسيم السياسي للمستوطنات لكن الأمور لم تظل على حالها بعد ضعف الملاحة البحرية الفينيقية والتراجع الكبير الذي عرفته الملاحة البحرية اليونانية، هذا في الوقت الذي أصبحت فيه قرطاجة دولة قوية تتزعم السيادة الاقتصادية والسياسية بالبحر المتوسط، ومن جهة أخرى روما التي أصبحت بدورها تسعى إلى فرض سيطرتها على هذا البحر وكانت النتيجة الحتمية لهذا الصراع ظهور مواجهة عسكرية قلبت موازين القوى، بحيث قضت على الدولة القرطاجية ومكنت الإمبراطورية الرومانية من التحكم في الثروات المادية والبشرية التي يزخر بها الحوض المتوسطي.

-إصرار كل دولة على تأسيس أكبر عدد ممكن من المستوطنات بنوعيها التجارية والزراعية تحقيقا لأطماعها الاستعمارية، وبالتالي تحول الصراع التجاري الذي شهده البحر المتوسط بين القرطاجيين الذين حلوا محل الصوريين والإغريق ثم الرومان إلى صراع استعماري، وأصبحت كل قوة تسعى إلى بسط سيطرتها ونفوذها على المناطق التي كانت بحوزة الأخرى. وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا الصراع إلى اصطدام عسكري تجلى فيما عرف

بالحروب البونية الثلاث (264-146 ق.م) والتي انتهت بتدمير الدولة القرطاجية سنة 146 ق. م ومكنت الرومان من السيطرة على البحر الأبيض المتوسط الذي اعتبروه بحرا رومانيا (Mare Nostrum).

6.المراجع:

[1]- Glotz (G.), Histoire grecque, t.1, Paris, Presses universitaires de France, (1988), p. 2.

[2] - Cary M. & Warmington E, les Explorateurs de l'antiquité, Trad.de A. et H. Collin-Delavaud, Paris, Payot, (1932), p. 20-21.

[3]- Strabon, Géographie, 111, 5, 11, éd. Amédée Tardieu, Paris, Hachette. (1880-1888),

[4]- Janvier (Y.), La mer Rouge lien entre deux mondes dans l'Antiquité,- Cahiers d'Histoire, n°3. (1976).

[5]- Polybe, (1970), Histoire Romaine, XII, 2è Edn. D. Rousset, Paris, Gallimard. (1970).

[6]- Bérard (V.), les Phéniciens et l'Odyssée, tome 1, 1è Edn. Paris, (1902-1903), p. 567-568.

[7]- Bérard (V.), les Phéniciens et l'Odyssée, tome 1, 1è Edn. Paris, (1902-1903), p. 567-568.

[8]- Homerus, L'Odyssée, XIX, 178-189, éd. Médéric Dufour, J. Raison, Paris, Garnier. (1937),

[9]- Glotz (G.), la Civilisation Egéenne, nouvelle Edn, Paris, Albin Michel, p.233-246.

[10]- Arthur Evans, Palace of Minos, t, 2, London, (1921-1936), p.60.

[11]- Cary M. & Warmington E, op.cit., (1932),p. 26.

[12]- Homerus, L'Odyssée, XIX, (1937), 178-189.

[13]- Peet, The stone and Bronze ages in Sicily and Italy, p.490-491.

[14]- Heurgon (J.), Rome et la Méditerranée occidentale jusqu'aux guerres puniques, 2e Edn, Paris, Presses universitaires de France, (1980), p.121.

[15]- Breasted (J.H.), A History of Egypt from the Earliest times to the Persian conquest, vol. II, (1927), p.307.

[16]- Hérodote, Histoires, II, 112, éd, Ph. E. Legrand, Paris, Les Belles Lettres. (1982),

[17]- Livre des Rois, (I.), 9, 26-28, 10, 21-22, (La Bible de Jérusalem, Paris, éd. Cerf). (1988),

[18]- Deckert (B.J.), Pount, Lexikon der Aegyptologie, t, 4, 8, col. 1198-1201. (1982),

[19]- Decret (F.), Carthage ou l'empire de la mer, 3e Edn. Paris, le Seuil, (1977), p.41.

[20]- Albright (W.), New Light on the early History of Phoenician colonisation, BASOR, 83, (1941), PP. 21-22.

[21]- Hérodote, Histoires, 1.1, éd. Ph. E, Legrand, Paris, Les Belles Lettres ; (1946), Homerus, L'Odyssée, XV, 415-484. (1937),

[22]- Glotz (G.), Histoire grecque, t.1. p.145.

[23]- Decret (F.), op.cit., (1977), p.35.

[24]- Glotz (G.), op.cit., p.145.

[25]- Diodore de Sicile, V, 12, éd. C. Muller(1855).

[26]- Strabon, XV, 1, 6.

[27]- Strabon, III, 5,5.

[28]- Pline l'ancien, Histoire naturelle, XVI, 79.3. Collection des auteurs latins, Paris, éd. M. E. Littré; Velleius Paterculus, (1848), 1.2.1, éd, P. Hainsselin, H. Watelet, Paris, Garnier. (1932)

[29]- Dion (R.), Le problèmes des Cassitérides, LATOMUS 11, (1952), p.306-314.

[30]- Heurgon (J.), op.cit., p.125.

[31]- Sartre (M.), Tranoy, (A.), La Méditerranée antique, IVè siècle av. J.C. IIIè siècle ap. J.C. Paris, (1990),

[32]- Mazel (J.), Les Phéniciens, Paris, Laffont, (1967), p.227.

[33]- Decret (F.), , op.cit., (1977) p.36.

[34]- Thucydides, VI, 2.6.

[35]- Decret (F.), op.cit., (1977) , p.36.

[36]- Sartre (M.), Tranoy (A.), op.cit., (1990),p.24.

[37]- Diodore de Sicile, V, 20.1.

[38]- Hérodote, 1, 165-166.

[39]- Pline l'ancien, II, 169 : « circumvectus a Gadibus ».

[40]- Gsell (S.), (1918), H. A. A. N., t.1, p. 470.

[41]- Festus Avienus, Ora maritima, 114-134 ; 406-415.

[42]- Avienus, 108-111.

[43]- Hédi Slim, et autres, Histoire générale de la Tunisie, tome I : l'antiquité, Tunis, sud éditions, (2010), p.43.

[44]- Pline l'ancien, V, 8.

[45]- Gsell (S.), Histoire ancienne de l'Afrique du nord, t.1, Paris, Hachette, (1918), p.476.

[46]- Pline l'ancien, II, 169.

[47]- Strabon, III, 5, 5.

[48]- Gsell (S.), H. A. A. N., t.1, (1918), p. 480.

[49]- Pline l'ancien, VI, 200.

[50]- Warmington P.B.H., Carthage, London (1960), p. 62-64.

[51]- Strabon, III, 5,11.

[52]- Cary M. & Warmington E, op. cit, (1932), p. 51 ;

[53]- Gsell (S.), H. A. A. N., t.1, (1918), p. 494.

[54]- Hérodote, IV, 196, éd. ph. E. Les Belles lettres. (1945),

[55]- Judas, Revue de l'Orient, de l'Algérie et des colonies, Nouv. Série, XIII, (1860), p. 209.

[56]- Hérodote, 1, 165- 166.

[57]- Cary M. & Warmington E, (1932), op. cit, p. 39.

[58]- Bérard J. La Colonisation grecque de l'Italie méridionale et de la Sicile dans l'antiquité l'histoire et la légende, Paris, (1839), p. 41.

[59]- Cary M. & Warmington E, op. cit, (1932), p 37.

[60]- Vallet G. Rhegion et Zancle, Paris, (1958), p. 56-57, n.1.

[61]- Heurgon, J. op. cit, p.158.

[62]- Ibid, p. 153-159.

[63]- Hérodote, IV, 152.

[64]- Cary M. & Warmington E, (1932), op.cit., p.37-38.

[65]- Justin, Histoire philippique, XLIII, 3, 4, Edn, M. Nisard, Paris. (1850),

[66]- Villard F., La Céramique grecque de Marseille, Paris(1960),, p.36.

[67]- Heurgon, J. op.cit., p.182.

[68]- Hérodote, IV, 42, IV, 157-158.

[69]- Gsell (S.), H. A. A. N., t.1, (1918), p. 509.

[70]- Hérodote, IV, 42.

[71]- Vivien S.M., Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine, Etudes historiques et géographiques, Paris, (1863), p.333 ; Gsell S., Hérodote, textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord, Alger, (1915), p. 225-237 ; Cary M. & Warmington E, (1932), p.137.

[72]- André Gil-Artagnan, l'Odyssée du Pount : sur les traces du pharaon Néchao autour de l'Afrique ; Archaeologia, nº 282, (1992), p. 24-33.

[73]- Toussaint A., Histoire de l'océan Indien, Paris, PUF, (1960),p. 34.

[74]- Hérodote, IV, 43.

[75]- Gsell (S.), Hérodote, (1915), p.238.

[76]- Strabon, II, 3,4.

[77]- Strabon, II, 3,4-5.

[78]- Baurin (C.) & Bonnet, (C.), les phéniciens, marins des trois continents, Paris, Armand Colin, (1992), p.168-169.

[79]- Sartre (M.) & Tranoy, (A.), (1990), op.cit., p. 126.

[80]- Polybe, III, 1, 22-25.

[81]- Strabon, XVII, 1,19.